إِنْ يَـقْـبُـحُ الْـحُـسْـنُ إِلَّا عِـنْـدَ طَـلْـعَـتِـهِ
فَـالْـعَـبْـدُ يَـقْـبُـحُ إِلَّا عِـنْـدَ سَـيِّـدِهِ[١]
قَـالَـتْ عَـنِ الـرِّفْـدِ طِـبْ نَـفْـساً فَـقُـلْـتُ لَـهَـا
لَا يَـصْـدُرُ الْـحُـرُّ إِلَّا بَـعْـدَ مَـوْرِدِهِ[٢]
لَـمْ أَعْـرِفِ الْـخَـيْـرَ إِلَّا مُـذْ عَـرَفْـتُ فَـتًى
لَـمْ يُـولَـدِ الْـجُـودُ إِلَّا عِـنْـدَ مَـوْلِـدِهِ
نَـفْـسٌ تُـصَـعِّـرُ نَـفْـسَ الـدَّهْـرِ مِـنْ كِـبَـرٍ
لَـهَـا نُـهَـى كَـهْـلِـهِ فـي سِـنِّ أَمْـرَدِهِ[٣]

غريب كصالح في ثمود

وقال أيضاً في صباه:

[الخفيف]

كَـمْ قَـتِـيـلٍ كَـمَـا قُـتِـلْـتُ شَـهِـيـدِ
لِـبَـيَـاضِ الـطُّـلَـى وَوَرْدِ الْـخُـدُودِ[٤]
وَعُـيُـونِ الـمَـهَـا وَلَا كَـعُـيُـونٍ
فَـتَـكَـتْ بِـالْـمُـتَـيَّـمِ الـمَـعْـمُـودِ[٥]

---

(١) إن: نافية، وعليه فالمعنى أن طلعته جميلة، فإذا ما بدا الجمال في غيره سرعان ما يبدو قبيحاً حالما يُطلّ ببهاء وجهه، فيبدو غيره دونه جمالاً. والعبد نظرة الآخرين له يملؤها الازدراء، ولكن نظرة سيّده إليه جميلة لاستفادته منه.

(٢) الرفد: العطاء والإنعام. يصدر: يعود. طِبْ نفساً: دعه وشأنه ولا تسع في الحصول عليه. حوار بين الشاعر والعاذلة؛ فهي تحاول ردعه لكي لا يطلب الهبة؛ فإنه ميئوس منه غير مبذولة، فيردّ عليها لا بدّ من المحاولة، ولن يرجع إلّا بعد بلوغه حاجته والحصول على مطلبه.

(٣) النهى، واحدتها نُهية: العقول. يمدح الشاعر ممدوحه؛ فنفسه كبيرة تتضاءل أمامها نفس الدهر الذي يأتي بالخير والشرّ للبشر، بينما ممدوحه لا يأتي إلّا بالخير.

(٤) الطُّلى: الأعناق، يبدأ الشاعر مطلع قصيدته بالغزل؛ فكثيرون ماتوا عشقاً، لذا فهم شهداء لحبهم لذوات الأعناق البيضاء، والخدود الحمراء.

(٥) المها، واحدتها مهاة: البقرة الوحشية. فتكت: قتلت على حين غرّة. المتيّم: =

دَرَّ دَرُّ الـصِّـبَـا أَأَيَّـامَ تَـجْـريـ
ـر ذُيُـولـي بـدَار أثْـلَـةَ عُـودِي[١]
عَـمْـرَكَ ٱللَّـهُ هَـلْ رَأَيْـتَ بُـدُوراً
طَـلَـعَـتْ فـي بَـرَاقِـعٍ وَعُـقُـودِ[٢]
رَامِـيَـاتٍ بِـأَسْـهُـمٍ رِيـشُـهَـا الْـهُـدْ
بُ تَـشُـقُّ الْـقُـلُـوبَ قَـبْـلَ الْـجُـلُـودِ[٣]
يَـتَـرَشَّـفْـنَ مِـنْ فَـمِـي رَشَـفَـاتٍ
هُـنَّ فِـيـهِ أحْـلَـى مِـنَ الـتَّـوْحِـيـدِ[٤]
كُـلُّ خُـمْـصَـانَـةٍ أرَقُّ مِـنَ الْـخَـمْـرِ
بِـقَـلْـبٍ أقْـسَـى مِـنَ الْـجُـلْـمُـودِ[٥]

= العاشق الولهان. المعمود: من أتعبه الحبّ وآلمه. يصف الشاعر عيني من أحبّ فقتلته، إنها تفوق جمالاً عيني المهاة بسعتها وجمالها وبشدّة صفاء بياضها وسوادها.

(١) الدرّ: اللبن، ويتمثّل الخير بكثرة اللبن. تجرير الذيول: كناية عن المرح والفخر. دار أثلة: موضع بظهر الكوفة. يدعو الشاعر متمنّياً عودة أيام اللهو والمرح يوم كان في مطلع شبابه في دار أثلة؛ تلك هي أيام خير.

(٢) و (٣) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٣٥٢. يدعو الشاعر لصاحبه متمنّياً له الخير، سائلاً إياه هل رأى حسناوات يحتجبْن بالبراقع ويتحلّيْن بالعقود، وقد تسلّحْن بعيون ترمي سهاماً قاتلة تخترق قلوب من يقع أسير حبّهن قبل جلودهم.

(٤) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٢٦٩. يروى «حلاوة التوحيد» بدلاً من «أحلى من التوحيد». يلذّ لتلك الحسناوات ارتشاف رحيق فم الشاعر لشِدّة حبّهن له، فإذا بطعم ذلك يبدو ألذّ من كلمة التوحيد، وهي لا إله إلّا اللّه. وفي ذلك مغالاة وخروج عن روح الإسلام.

(٥) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣١٣. الخمصانة: الضامرة البطن. الجلمود: الصخر. يصف الشاعر هؤلاء الحسناوات بجمال أجسادهن ورقّتها؛ فهن ضامرات البطون، رقيقات الجلود أرقّ من الخمر، ولكنهن ذوات قلوب أقسى من الصوان.

ذَاتِ فَـرْعٍ كَـأَنَّـمَـا ضُـرِبَ الْـعَـنْـبَـرُ
فِـيـــهِ بِـمَـــاءِ وَرْدٍ وَعُـــودِ[١]
حَـالِـكٍ كَـالْـغُـدَافِ جَـثْـلٍ دَجُـو
جِـيٍّ أثـيـثٍ جَـعْـدٍ بِـلَا تَـجْـعِـيـدِ[٢]
تَـحْـمِـلُ الـمِـسْـكَ عَـنْ غَـدَائِـرِهَـا الـرِّيـ
ـحُ وَتَـفـتـرُّ عَـنْ شَـنِـيـبٍ بَـرُودِ[٣]
جَـمَـعَـتْ بَـيْـنَ جِـسْـمِ أحْـمَـدَ وَالـسُّـقـ
ـمِ وَبَـيْـنَ الْـجُـفُـونِ وَالـتَّـسْـهِـيـدِ[٤]
هٰـذِهِ مُـهْـجَـتِـي لَـدَيـكِ لِـحَـيْـنِـي
فَـانْـقُـصِـي مِـنْ عَـذَابِـهَـا أوْ فَـزِيـدِي[٥]
أهْـلُ مَـا بِـي مِـنَ الـضَّـنَـى بَـطَـلٌ صِـيـ
ـدَ بِـتَـصْـفِـيـفِ طُـرَّةٍ وَبَـجِـيـدِ[٦]

---

(١) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٢٢. الفرع: شعر الرأس. ضُرب: مُزج. وما يدلّ على غنى ورفاهية تلك الحسناء أنها ذات شعر أسود فاحم، طيبه مزيج من العنبر وماء الورد وعبق العود.

(٢) إنه شعر حالك السواد كلون الغراب الأسود، جثل: كثير ملتفّ، دجوجي: شديد الظلمة، أثيث: كثيف لم تمسّه يد التصنيع، فتجعيده هبة إلهية.

(٣) يروى «عن شتيت» بدلاً من «عن شنيب». غدائرها: ذوائبها. تفترّ: تبتسم. شنيب: عذب أبيض محزّز أطراف الأسنان. برود: بارد. تدغدغ الريح ذوائبها فتطير بها ويعبق الجوّ بريح يجعل المرء في حلم، وتبتسم بلطف فتبدي أسناناً لؤلئية ناصعة البياض، تبرّد الظامئ.

(٤) أحمد: الشاعر نفسه. السقم: المرض. التسهيد: السهر. أفلحت تلك الحسناء بجعل الشاعر يأرق، فلا يعرف للنوم طعماً ممّا جعله يمرض.

(٥) المهجة: الروح. الحَيْن: الأجل. يُخاطب الشاعر حبيبته بأنه قد ارتضى بقضائها واستسلم لمشيئتها، فقدّم مهجته، فإما أن تُسعِدها بوصلها وإما أن تزيد من عذابها له بهجرها.

(٦) الضنى: المرض العضال المزمن. الطرّة: شعر الجبهة، يُتابع الشاعر استرساله =

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ
شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعُنْقُودِ(١)
فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي
مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي(٢)
شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُولِي
وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي(٣)
أَيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ
لَمْ تَرُعْنِي ثَلَاثَةً بِصُدُودِ(٤)
مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا
كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ(٥)
مَفْرَشِي صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلٰكِـ
ـنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ(٦)

= بوصف ما حلّ به؛ فقد صادت بطلاً بتصفيفها طرتها وجمال عنقها، فحقّ لها أن تفعل به ما تشاء.

(١) و (٢) ابنة العنقود: الخمرة. يُعرّج الشاعر على موضوع خمري، فكلّ ما كان أحمر حرام سوى الخمرة، فإنها تحلّ إذا قدّمتها فتاة كالغزال رقّة وجمالاً ولطفاً؛ وذلك في سبيل رضى عينيها؛ هنا يرخص كلّ غالٍ، سواء أكان موروثاً أم مالاً حديثاً.

(٣) ما ألمّ بالشاعر من شيب كَلّل رأسه ومعاناة ذلّ ونحول جسم ودموع لا تريم تسيل على خدّيه، شاهدة على حبّه لها.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٧٧، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٧٩، ٥١٤. ترُعني: تُخيفني. ومن مكر حبيبة الشاعر أنها إذا وصلته ذات يوم جعلته يُعاني آلام الصدّ والحرمان أياماً ثلاثة.

(٥) نخلة: إحدى قرى بعلبك يمتلكها بنو كلب. يبدو أن علاقة الشاعر بأهل قرية نخلة كانت سيّئة وليست تحلو له، فكأنه فيها يُقاسي غربة ووحشة كما كان المسيح عليه السلام بين اليهود.

(٦) المفرش: موضع الفراش. الصهوة: مكان اعتلاء الفارس على فرسه. القميص المسرودة: الدرع. ينوّه الشاعر بفروسيّته؛ إنه يفترش صهوة جواد ويرتدي درعاً حديدية، حذراً واستعداداً لما يطرأ من مفاجاءات من قبل أعدائه.

لَأْمَـــــةٌ فَـــــاضَـــــةٌ أَضَـــــاةٌ دِلَاصٌ
أَحْـكَـمَـتْ نَـسْـجَـهَـا يَـدَا دَاوُدِ(١)
أَيْـنَ فَـضْـلِـي إِذَا قَـنِـعْـتُ مِـنَ الـدَّهْـرِ
بِـعَـيْـشٍ مُـعَـجَّـلِ الـتَّـنْـكِـيـدِ(٢)
ضَـاقَ صَـدْرِي وَطَـالَ فِـي طَـلَـبِ الـرِّزْ
قِ قِـيَـامِـي وَقَـلَّ عَـنْـهُ قُـعُـودِي(٣)
أَبَـداً أَقْـطَـعُ الْـبِـلَادَ وَنَـجْـمِـي
فِـي نُـحُـوسٍ وَهِـمَّـتِـي فِـي سُـعُـودِ(٤)
وَلَـعَـلِّـي مُـؤَمِّـلٌ بَـعْـضَ مَـا أَبْـ
ـلُـغُ بِـالـلُّـطْـفِ مِـنْ عَـزِيـزٍ حَـمِـيـدِ(٥)
لِـسَـرِيٍّ لَـبَـاسُـهُ خَـشِـنُ الْـقُـطْـ
ـنِ وَمَـرْوِيٌّ مَـرْوَ لِـبْـسُ الْـقُـرُودِ(٦)

---

(١) اللأمة: درع محكمة الصنع. فاضة: فضفاضة. دلاصة: برّاقة ليّنة الملمس. نسج: حاك. إنها درع محكمة الصنعة، صيغت على مقاس الشاعر فضفاضة ليّنة الملمس برّاقة من صنع سيّدنا داود عليه السلام، قديمة العهد.

(٢) يستعجل الشاعر طلب الغنى والسؤدد، فليس له فضل لو رضخ لما قسم له، فقد حصّل فقراً رغم محاولاته، لذا فلا فضل له.

(٣) و (٤) نكد العيش وسوء التوفيق في الحصول على الثروة لازم الشاعر فلم تفتر له همّة ولم يستسلم ولم يتوان في طلب ما يصبو إليه. لذا فهو يتنقّل من مكان إلى آخر، رغم الفشل المتكرّر وطالعه النحس، فعزيمته لم تفتر بل ازداد إصراراً لتحقيق ما يصبو إليه.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٣. لم يقنط الشاعر؛ فالأمل يدغدغ أحلامه، وما التوفيق إلّا من عند اللّه العزيز الحميد.

(٦) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ١٩٥، الوساطة: ٩٣. السري: السيد الماجد الشريف. مروي مَرْوَ: ثياب رقاق تنسج بها. مَرْو: بلد بفارس. يروى «بسريّ» بدلاً من «لسريّ»، يأمل الشاعر بلوغ ما يتمنّاه من خشن الملبس والمطعم دلالة على قوّة شخصيّته، ويأنف من لبس رقيق القطن الليّن، فهو لباس القرود.

عِـشْ عَـزِيـزاً أَوْ مُـتْ وَأَنْـتَ كَـرِيـمٌ
بَـيْـنَ طَـعْـنِ الْـقَـنَـا وَخَـفْـقِ الْـبُـنُـودِ(١)
فَـرُؤُوسُ الـرِّمَـاحِ أَذْهَـبُ لِـلْـغَـيْـ
ـظِ وَأَشْـفَـى لِـغِـلِّ صَـدْرِ الْـحَـقُـودِ(٢)
لَا كَـمَـا قَـدْ حَـيِـيـتَ غَـيْـرَ حَـمِـيـدٍ
وَإِذَا مُـتَّ غَـيْـرَ فَـقِـيـدِ(٣)
فَـاطْـلُـبِ الْـعِـزَّ فِـي لَـظَـى وَدَعِ الـذُّ
لَّ ولَـوْ كَـانَ فِـي جِـنَـانِ الْـخُـلُـودِ(٤)
يُـقْـتَـلُ الـعَـاجِـزُ الْـجَـبَـانُ وَقَـدْ يَـعْـ
ـجِـزُ عَـنْ قَـطْـعِ بُـخْـنُـقِ الـمَـوْلُـودِ(٥)
وَيُـوَقَّـى الـفَـتَـى الـمِـخَـشُّ وَقَـدْ خَـوَّ
ضَ فِـي مَـاءِ لَـبَّـةِ الـصِّـنْـدِيـدِ(٦)

(١) و (٢) البنود، الواحد بنْد: الأعلام الكبيرة. خفق البنود: تحركها مع الرياح. يُخاطب الشاعر نفسه مستثيراً فيها روح المغامرة، طالباً منها عيشاً كريماً عزيزاً، وإن لم يُحقق ذلك، فالموت بكرامة مناه في ميادين القتال حيث تشتجر الرماح وتلتقي لقاء الموت، وتخفق الرايات، رايات النصر والفخار. وما يشفي غيظ الأبطال رؤوس الرماح المشرّعة ويشفي الحقود ضربة تُصوّب إلى جسده فيخرّ صريعاً مضرّجاً بدمائه.

(٣) ينفض الشاعر عن نفسه غبار الذّلّ في حياة التراخي ويحثّ نفسه على النضال، فالقدر واحد والعمر واحد، ولا يذكر المرء إلّا بأعظم الأعمال التي يتركها بعد مماته؛ فسرعان ما ينسى الناس الضعفاء الذين لا يتركون ما يُحمدون عليه ولأجله.

(٤) يروى «ذرْ» بدلاً من «ودع». لظى: لهب جهنم. على المرء أن يحمل شُعلة النار عزيزاً حتى ولو كان طلبها في جهنم خير له من الاستكانة ولو كان ذلك في الجنَّة.

(٥) البخنق: خرقة تقنع بها الرأس وتُشدّ تحت الحنك. وقد يُقتل الجبان رغم شدّة احتراسه، فالقضاء جارٍ في النفوس، وشدّة الحرص ليست من أسباب الخلود.

(٦) المخشّ: الشجاع الذي يتصدّى لمواجهة الشدائد والحروب. خوّض: سبح. اللبّة: أعلى الصدر. الصنديد: البطل الشجاع. يُتابع الشاعر مقالته أن الشديد البأس الجريء على مواجهة الأخطار يخوض عبابها ويبطش بالصناديد.

لَا بِـقَـوْمِـي شَـرُفْـتُ بَـلْ شَـرُفُـوا بِـي
وَبِـنَـفْـسِـي فَـخَـرْتُ لا بِـجُـدُودِي[١]
وَبِـهِـمْ فَـخْـرُ كـلِّ مَـنْ نَـطَـقَ الـضَّـا
دَ وَعَـوْذُ ٱلْـجَـانـي وَغَـوْثُ الـطَّـرِيـدِ[٢]
إِنْ أَكُـنْ مُـعْـجَـبـاً فَـعُـجْـبُ عَـجِـيـبٍ
لَـمْ يَـجِـدْ فَـوْقَ نَـفْـسِـهِ مِـنْ مَـزِيـدِ[٣]
أَنَـا تِـرْبُ الـنَّـدَى وَرَبُّ الْـقَـوَافِـي
وَسِـمَـامُ الْـعِـدَا وَغَـيْـظُ الْـحَـسُـودِ[٤]
أَنَـا فِـي أُمَّـةٍ تَـدَارَكَـهَـا الـلَّـ
ـهُ غَـرِيـبٌ كَـصَـالِـحٍ فِـي ثَـمُـودِ[٥]

الخلائق الشريفة

وأرسل إليه جامَة فيها حلوى فردها وكتب فيها بالزعفران: [الكامل]

أَقْـصِـرْ فَـلَـسْـتَ بِـزائِـدِي وُدَّا
بَـلَـغَ الـمَـدَى وَتَـجَـاوَزَ الْـحَـدَّا[٦]
أَرْسَـلْـتَـهَـا مَـمْـلُـوءَةً كَـرَمـاً
فَـرَدَدْتُـهَـا مَـمْـلُـوءَةً حَـمْـدَا[٧]

---

(١) و (٢) إن الشاعر لا يهتمّ بميراث الأمجاد لجدوده، بل إنه يعتبر نفسه مصدر اعتزازهم، لذا فإنه يفخر بنفسه. وهم مصدر فخر العرب، وإليهم يلجأ كلّ من كان بحاجة للحماية حتى الجُناة، فإنهم يأمنون على أنفسهم من عثرات الزمن، وكذلك المشرّدون بهم يستغيثون وإليهم يرجعون لمساعدتهم.

(٣) ومن مغالاة الشاعر أنه شديد الإعجاب بنفسه، والناس يُعجبون به لأنه مصدر الإعجاب، وهو يعلو على سائر البشر.

(٤) ترب الندى: أي أنه ولد مع الكرم. الندى: الكرم. سِمام، الواحد سمّ: يُحدّد الشاعر صفاته؛ إنه كريم وُلد توأماً للندى، وهو شاعر مفلّق مبدع، وكذلك هو سمّ زُعاف قاتل لأعدائه، والحسود يموت غيظاً منه.

(٥) تداركها اللّه: سارع إلى رحمتها ورعايتها. يرى الشاعر نفسه منقِذاً لأمته خلقه اللّه تعالى رحمة لها، كما أرسل صالحاً النبيّ لهداية بني قومه ثمود.

(٦) و (٧) أقصر: توقّف عن القيام بعمل ما مع القدرة عليه. الودّ: الحبّ والصداقة. =